

الاسرة في ظل التحولات التكنولوجية المعاصرة: الاسرة المسلمة نموذجا

The Family amid Contemporary Technological Transformations: The Muslim Family as a Model

حورية طيبي

مخبر الدراسات السكانية، الصحة والتنمية المستدامة

جامعة البليدة 2 لونيبي علي (الجزائر)، h.taibi@univ-blida2.dz

تاريخ الاستلام: 2026/01/14 تاريخ القبول: 2026/05/03 تاريخ النشر: 2026/06/01

ملخص:

لا يختلف اثنان، أنّ الأسرة هي الخلية الأساسية لأيّ مجتمع، والوحدة الرئيسية فيه. وبالتالي، فهي ضرورية في كل المراحل التاريخية، بالنظر إلى أهمية الوظائف التي كانت، ولا تزال تؤديها، والتي من خلالها يضمن المجتمع توازنه واستقراره. وفي ظلّ التغيرات السريعة التي يشهدها عالمنا المعاصر، وعلى جميع المستويات - اقتصادية، سياسيا، فكريا وثقافيا- أضحت الأسرة تواجه جملة من التحديات، لا سيما على المستوى الثقافي والحضاري، وتحديدًا تلك التي تفرضها تكنولوجيا الإعلام والاتصال المعاصرة، التي تطرح أشكالًا ومضامين إعلامية جديدة، تختلف عن قواعد السلوك المألوفة في مجتمعاتنا، كبرامج العنف والجنس والجريمة.

وهنا تكمن أهمية هذه الورقة البحثية التي سنتناول فيها مخاطر وسائل الإعلام المعاصرة والتحديات التي تواجه الأسرة العربية التائهة بين التوفيق بين متطلبات العصر ومقتضيات الأصالة، بحثًا عن الأسلوب الأنجع للحفاظ على وجودها وسلامة كيائها.

الكلمات المفتاحية: الاسرة، التحولات التكنولوجية، الاسرة المسلمة، التربية الاسرية.

Abstract:

Family is the basic and the main unit of any society. Its importance is reflected in the noble function that exercises and has always exercised. It is also through the family that society ensures its balance and stability. Today, given the rapid changes that characterize our time at economic, political, intellectual and cultural levels, it turns out that family has a number of challenges, particularly in cultural and civilizational terms, due to development of contemporary media, which can introduce and transmit new norms, and new forms of behavior, through various programs of violence, sex and crime.

To deal with this reality, the big problem confronting the majority of families in Muslim societies is to find strategies that allow them to deal with the different means of communication - which today seem an unavoidable necessity - while preserving their values and therefore its existence and its integrity.

Keywords: Family, Technological, Transformations, Muslim family, Family education.

*المؤلف المرسل: حورية طيبي

1. مقدمة

نالت الأسرة قسما كبيرا من اهتمام الديانات السماوية كلها. وفي الديانة الإسلامية، حظيت الأسرة بمكانة سامية لا تُضاهى. فقد جاء الإسلام لينظم العلاقات بين أفراد المجتمع عامة، وبين أفراد الأسرة على وجه التحديد.

وإذا كانت الأسرة ذلك الرباط الشرعي الذي يجمع بين الرجل والمرأة لاستمرار النوع البشري، فهي إذا مؤسسة مرجعية أولية، يكتسب فيها الفرد عضويته، والتي تحدّد هويته، كما يكتسب من خلالها كل أنماط السلوكيات السائدة، من قيم وعادات ولغة وأعراف، وكل ما له صلة بالموروث الثقافي، لتصبح الأسرة الدّعامة الأولى لضبط الأخلاق وتوجيه السلوك. لذلك يُنظر إليها على أنّها وحدة أساسية ومؤسسة تربوية أسند لها المجتمع أسمى الوظائف، من بينها وظيفة التنشئة الاجتماعية. ومع تطوّر الحياة، وبحكم ما شهده العالم من ثورات تكنولوجية ومعلوماتية، أصبحت وسائل الإعلام بمختلف أجهزتها، منافسا قويا في مجال التنشئة. إذ أضحت كما يُنعته البعض - بالرغم من ايجابياتها التي لا يمكن إنكارها- أولياء جدد بالنسبة للأبناء ما يطرح بالتالي، وبالنسبة للأسر، إشكالية التربية والتنشئة الاجتماعية في عصر الانفتاح والتدفق الإعلامي الكبير. وهنا تكمن الخطورة، خاصة في ظلّ تفوّق قدرة تحكّم الأبناء في تلك الوسائل قدرة الآباء، ما يجعل مسألة الرّقابة الوالدية في غاية الصّعوبة.

وعليه، يهدف هذا المقال، إلى تحليل تأثير التغيرات التكنولوجية المعاصرة على الأسرة، محاولين الإجابة على السؤال التالي: ما هي تداعيات تكنولوجيات الاعلام والاتصال المعاصرة على الاسرة، ما هي انعكاساتها على مستوى الوظائف؟ لاسيما التربوية منها، ومدى قدرة الاسرة على التكيف مع هذه التحولات؟ بما يضمن لها الحفاظ على تماسكها واستقرارها.

وللخوض في هذه المسائل، تمّ الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال استعراض وتحليل الأدبيات والدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع، كما تم توظيف بعض المفاهيم التي تساعد على فهم طبيعة العلاقة بين التغير التكنولوجي والتحول الأسري في المجتمعات المعاصرة.

2. الإطار المفاهيمي

1.2. مفهوم الاسرة

تشير معظم التعاريف، إلى أن الاسرة هي الخلية الأساسية في المجتمع والوحدة الرئيسية فيه. وبالتالي فهي ضرورية في كل المجتمعات وفي جميع المراحل التاريخية، بالنظر إلى أهمية الوظائف التي كانت ولا تزال تؤديها، والتي من خلالها يضمن المجتمع توازنه واستقراره. لذلك، نجد أن أكثر التعاريف تداولاً لمفهوم الأسرة، لاسيما لدى علماء الاجتماع، لا يخرج عن هذا السياق. فعلى سبيل المثال، يعرفها العالم الاجتماعي الأمريكي تالكوت

بارسونز (T.Parsons) "أنها الوحدة الأساسية المسؤولة عن التنشئة الاجتماعية للأطفال، وعن تحقيق الاستقرار للراشدين" (Parsons & Bales, 1955, pp. 16-17)

ومن جهته، يعتبر عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم (E. Durkheim)، إلى الأسرة على أنها إحدى الخلايا الأساسية التي يعول عليها المجتمع لتحقيق التماسك الاجتماعي فيه، من خلال وظيفة التنشئة الاجتماعية، والتي من خلالها يتم نقل القيم والمعايير للأفراد. لذلك، لا يحصر دوركايم الأسرة في كونها مجرد تجمع طبيعي للابوين وما ينبجانه من أطفال، بل ينظر إليها على أنها مؤسسة اجتماعية ناتجة عن عوامل اجتماعية، حيث يرتبط أعضاؤها ببعضهم البعض، حقوقيا وخلقيا (Durkheim, 1921, p. 6). وعلى هذا الأساس، يعتبر دوركايم الأسرة ظاهرة اجتماعية، تخضع لقوانين المجتمع وقواعده الأخلاقية. ومن هذا المعنى، نستنتج أن الأسرة ليست معطاً ثابتاً، بل تتأثر بالتحويلات الجارية في المجتمع، كما تساهم بدورها في إحداث التغيير فيه. وبناء على ذلك، عرفت الأسرة أنماطاً مختلفة، ووظائف متعددة. إلى أن أضحت اليوم مطالبة بأدوار جديدة حسب ما تمليه متطلبات العصر.

وفي التشريع الإسلامي، يُنظر إلى الأسرة على أنها مؤسسة مرجعية أولية، يكتسب فيها الفرد عضويته، والتي تحدّد هويته، كما يكتسب من خلالها كل أنماط السلوكيات السائدة، من قيم وعادات ولغة وأعراف، وكل ما له صلة بالموروث الثقافي، لتصبح الأسرة من وجهة نظر التشريع الإسلامي، مجموعة من التشريعات والتوجيهات المنظمة لها في كافة مراحلها، كما أنها ذلك الميثاق الغليظ الذي يعتمد على متانة العلاقة بين الزوجين وعلى أسس من هدى الدين وتوجيهاته. لذلك (المعجم الوسيط، 2004، صفحة 17)، أحاط التشريع الإسلامي الأسرة بمجموعة من الأحكام الأخلاقية والآداب الشرعية، باعتبارها أبرز المؤسسات التربوية التي أسندت لها أسمى الوظائف، ألا وهي وظيفة التنشئة الاجتماعية.

2.2. مفهوم التكنولوجيات المعاصرة

تشير التكنولوجيات المعاصرة، كما جاءت في كتابات عالم الاجتماع مانويل كاستيلس (M.Castells) إلى الأجهزة والتقنيات الحديثة التي تحدث تغيرات عميقة ليس فقط على المستوى المادي، بل تشمل أيضاً الممارسات الاجتماعية والثقافية، والعلاقات الإنسانية، التي أعيد هيكلتها في المجتمع الحديث. (Castells, 1996, p. 34) وبناء على ذلك، يعتبر الكثيرون العامل التكنولوجي، أحد أبرز عوامل التغيير لاسيما في عصرنا هذا. كما أنها أصبحت إحدى أقوى عوامل الصراع والتنافس بين الدول والشعوب، وهنا تكمن أهميتها وخطورتها في آن واحد، إذ بإمكانها أن تتحوّل إلى عامل تهديد، خاصة بالنسبة للمجتمعات التي لا تملك التدابير الوقائية الكافية.

3. الأسرة كمؤسسة اجتماعية-تربوية

شكل موضوع الأسرة إحدى المسائل الجوهرية التي استقطبت اهتمام العديد من العلماء من مختلف التخصصات وبمقاربات متعددة، لما تكتسيه من أهمية في حياة الأفراد والمجتمعات. ورغم اختلاف هؤلاء في بعض

الجوانب، نظراً لاختلاف توجهاتهم النظرية، إلا أنهم يتفقون في الوقت ذاته، أن الأسرة كانت ولا تزال الخلية الأساسية في المجتمع، باحتلالها الدور الأول في تشريب التراث الثقافي والأخلاقي، وباعتبارها أيضاً المجتمع الأصلي لنسيج العلاقات الاجتماعية. لاسيما في ظل النموذج الأسري التقليدي، الذي يُنظر إليه على أنه نمط، وقرراً للأسرة التوازن والاستقرار، وكان لها الذرع الواقي من كل أشكال الانحراف والتفكك. حيث كانت الأسرة في ظل هذا النموذج، تتمتع بجملة من الخصائص بنائياً ووظيفياً.

بنائياً، كانت الأسرة العربية مركبة من مجموعة من الأعضاء من عدة أجيال، تضم الآباء والأبناء والأجداد والأحفاد.

أما على المستوى الوظيفي، كانت وظائف الأسرة شاملة لجميع شؤون الحياة. حيث كانت هيئة اقتصادية منتجة، وهيئة سياسية، وكذا هيئة قضائية تعمل على حل النزاعات بين أفرادها. وقبل كل ذلك، كانت الأسرة التقليدية وحدة تعليمية، وتربوية، تعمل على غرس القيم الاجتماعية والروحية والخلاقية والدينية لدى الناشئة. وبالتالي، فإن تربية الأبناء في هذا النمط الأسري التقليدي، كانت مسؤولية مشتركة، يتقاسمها جميع الأجيال. والجدير بالذكر، أن هذا النموذج الأسري، يبدو أنه النموذج الأمثل من المنظور الإسلامي. لأن الأسرة في الإسلام- كدين وعقيدة وكمهج في الحياة- لا تُختزل في الآباء والأبناء فحسب، بل تشمل كل القرابة، القائمة بالدرجة الأولى على مبدأ التعاون. لذلك يرى الكثير من المحللين، أن التنشئة الاجتماعية في المجتمعات العربية التقليدية، كانت أقل تعقيداً وأيسر تنفيذاً، خاصة أن الذين يتولون هذه المهمة، يمتازون بنوع من التجانس الثقافي والفكري، في ظل منظومة قيمية واضحة ومحددة المعالم. (مهرة سالم ، 2010 ، صفحة 127).

ولأن الأسرة ظاهرة اجتماعية، فهي ترتبط، مثلها مثل أي ظاهرة اجتماعية أخرى بالسياقات التاريخية المختلفة، وتخضع لمجمل المتغيرات المرتبطة بالتحولات المجتمعية وفي جميع النواحي. وفي ضوء هذا التصور، وفي مسيرة التحولات العميقة التي حدثت في العالم العربي المعاصر، واجهت الأسرة العربية المسلمة، جملة من التغيرات على مستوى البناء والأدوار والوظائف، وأصبح النموذج الغالب على معظم الأسر العربية هي الأسرة النوواة.

إن انفجار الأسرة التقليدية الممتدة إلى أسرة نوواة محدودة الأعضاء، صاحبه من جهة، تغيير على مستوى العلاقات، سواء بين الزوجين أو بينهم وبين الأبناء، وبين الإخوة وكذا بين الجنسين. كما صاحبه من جهة أخرى، وكنيجة حتمية، تغيير، وبمعنى أدق، تقليص على مستوى الأدوار والوظائف، بما فيها وظيفة التنشئة الاجتماعية. وبالتالي، لم تعد الأسرة مصدراً حقيقياً تتولى مهمة التنشئة الاجتماعية، بعدما أصبح دورها محدوداً في هذا المجال، خاصة بعد سيطرة القيم المادية والاستهلاكية، ومن ثمة، بروز القيم الفردية والأنانية التي أضحت تطبع القيم الأسرية، في عالم بلغ أعلى درجات التركيب والتعقيد. هذا العالم الذي أصبحت فيه التربية مسألة معقدة بالنسبة لأغلبية الأسر، لاسيما في المناطق الحضرية. حيث يواجه الآباء ضغوطات، نتيجة ظروف العمل ومشاكل السكن ومشكلات العنف والصراع بين أعضاء الأسرة الواحدة. الأمر الذي ساهم في إضعاف فرص التفاعل الإيجابي، وفي

تقليص قدرة الآباء في استغلال ميزانية الوقت أفضل استغلال (عيساوة، 2013-2014، صفحة 269)، لمشاركة الأبناء في حلّ ما يعترض سبيلهم من مشاكل، ذات البعد المهني أو المدرسي أو العاطفي، و التي أصبحت تطبع حياة معظم الشّباب والمراهقين في عصرنا هذا.

بناءً على ما تمّ عرضه، وحسب ما تداوله الكثير من الباحثين المهتمّين بشؤون الأسرة، فإنّ معظم الأسر، لاسيّما في المجتمعات العربيّة الإسلاميّة، أصبحت تعيش مرحلة ما بين ضعف وضباع، أو على الأقلّ تلاشي لبعض القيم الموروثة (حمداش، 2009، صفحة 282). إذ لم تعد تمارس نفس القوّة والسيطرة على الأفراد، وعلى الأبناء بصفة خاصّة. وبالتالي، فإنّ الأساليب التّربويّة التقليديّة، لم تعد مجدية. خاصّة مع جيل متطلّع، تختلف تصوّراته عن تصوّرات آباءه وأسلافه. جيل متشبع بالقيم الكونية وثقافة العولمة، المروّجة للثقافة الغربيّة بكلّ ما تحمله من قيم تفكيكيّة، لاسيّما في ظلّ التّطوّر الهائل والمدهش لوسائل الإعلام والاتّصال.

و لو أنّ ديننا الحنيف لا يستبعد الآخر، بل يحثّ الشّعوب والأمم، باختلاف مرجعياتها، على التّواصل والتّعارف، كما جاء في الآية الكريمة: "يا أيّها النّاس إنّنا خلقناكم من ذكروأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير" (سورة الحجرات)

وضمن هذا السّياق، يُفترض أن يكون الاختلاف نعمة، ومصدرا لبناء علاقات يسودها التّوازن والتّكامل بين الشّعوب، وليس مصدرا للصّراع والتّناحر والهيمنة. ليبقى معيار التقوى، هو المعيار الوحيد الذي يحدّد أفضليّة الشّعوب على بعضها البعض، والذي يُفترض أن يُبنى عليها الصّراع أو التّنافس. "فوزاء الخصوصيات والاختلافات و تنوّع الهويّات، تكمن الوحدة". كما جاء في إحدى مقولات الفيلسوف الفرنسي بول ريكور (بن بوجليدة، 2017، صفحة 19)، اعترافا منه، أنّ الهويّة، أيّا كانت، لا يمكن إدراكها إلّا في وجود الآخر.

إلّا أنّ ما يحدث في العالم اليوم، أنّ التّعدديّة الثّقافية أصبحت نقمة، بعدما أضحت بعدا جوهريا من أبعاد الصّراع، وأقوى سلاح يعوّل عليه الغرب، أمريكا تحديدا، في فرض هيمنتها المطلقة على العالم، والعالم الإسلامي على وجه التّحديد. و ما زاد من إصرار أمريكا على ذلك - و كما جاء في تحليل بعض الخبراء- هي تلك التّخوّفات المرضيّة، أو الفوبيات التي تشكّلت لديه من الإسلام، كدين وعقيدة وحضارة (غريب، 2010، صفحة 59) ولن تجد أمريكا مخرجا للتّحرّز من تلك المخاوف، إلّا بضرب القيم الإسلاميّة، من خلال نشر ثقافتها عبر مختلف وسائل الإعلام والاتّصال المعاصرة، و باستخدام كلّ أساليب الإغراء التي تؤدّي بتلك القيم إلى الانحلال و التّفكّك و الالتحاق بالثقافة الأمريكيّة، "من دون شخصيّة ولا برنامج و لا مشاركة إيجابيّة" (غريب، 2010، صفحة 176) خاصّة أنّ الإعلام الإسلامي و العربي عموما، يعيش-كما يبدو في نظر البعض- صدمة إعلامية على المستوى السّياسي و التّنظيمي و الفنيّ، ما يجعله ضعيف الاستجابة لعولمة الإعلام (الشليح و الدهري ، 2006، صفحة 591) ما يدفع المشاهد العربي، لا سيما من الأطفال و الشّباب، بعد فقدان ثقمتهم بالإعلام المحلي، الانهيار بما يبثّه الغرب من برامج تمتاز بجودة فنيّة فائقة. وهكذا تُفرض ثقافة الغالب على المغلوب عبر آليات التّقليد، "فيقتدي المغلوب

بالغالب في شعاره وزِيَّه ونحلته وسائر أحواله وعوائده". على حدّ تعبير العلامة ابن خلدون (أبو المظفر و السناري، 2015، صفحة 167) ما ينهي بنا إلى القول، أنّ المجال الثقافي، أصبح اليوم أكثر المجالات خصوبة لتداعيات العولمة، التي تمسّ بالدرجة الأولى الشّخصيّة الثقافيّة والهويّة وانتماء الشّعوب، بل أكثر المجالات خطورة، بحكم قدرتها على اختراق المنظومة الثقافيّة والقيميّة للأسرة، و من ثمة، تمزيق البنية التقليديّة التي بُنيت عليها.

4. تأثيرات تكنولوجيا الإعلام والاتّصال على الأسرة

لقد جاءت ثورة الاتّصال، لتجعل من وسائل الإعلام شريكا فاعلا يسهم بقدر كبير في التّربيّة وفي عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة، إلى جانب المؤسّسات الأخرى، كالأسرة والمدرسة والمؤسّسة الدينيّة.

تكمن خطورة هذه الوسائل في قدرتها على التّحرّك، حيث تصل إلى الجمهور أينما وُجد، في البيت ومكان العمل، بل وحتى في الشّارع بواسطة ما يسمى اليوم بالهاتف الذكي. كما تخاطب جمهورا عريضا، الكبير منه والصّغير ومن الجنسين.

إنّ خطورة تلك الوسائل، تكمن أيضا في كونها تحتلّ كلّ ميادين الفكر والتأثير، من ثقافة وترويج وتوجيه، بتقنيات عالية وقوالب جذّابة، ما يجعل الإنسان يسلم نفسه بكلّ حواسه- وعواطفه بالدرجة الأولى-، لجاذبيّة محتوى ومضمون تلك الوسائل، وما تروّج له من قيم تتعارض في كثير من الحالات لقيمه ومرجعياته. (الحكيم، 2015، صفحة 174) وقد لا تظهر آثارها في اللحظة ذاتها، بل على المدى البعيد. لأنّ المشاهد قد يكون مشاهدا في البداية، ليتحوّل فيما بعد إلى مشارك يعيش أحداث ما يُرسل إليه من برامج متنوّعة، المشحونة بجملة من القيم والاتّجاهات، تجد صداها لدى العامّة، ولدى الشّباب والأطفال بصفة خاصّة. لاسيّما من الدّول الناميّة الغير محصّنة-بما في ذلك الدّول العربيّة-التي تصدر قائمة الدّول التّابعة والمستهلكة للمنتوج الإعلامي القادم من الغرب. هذه التّبعيّة لا تطرح فحسب إشكالية من يُنتج أكثر من الآخر، لأنّ الجميع يُدرك جيّدا الفجوة بين ما يُنتجه عالم الغرب، صاحب الإمكانيات الواسعة، وما تُنتجه نحن في العالم الآخر بأدوات محليّة موروثيّة، لم تخضع لأيّ تغيير يُذكر. و بالتّالي، فإنّ الإشكاليّة، تظهر في أبعاد الممارسات الإعلامية الموجّهة إلينا -لاستهلاكها دون وعي في أغلب الحالات- لاسيّما ما يتعلّق بالبعد الثقافي والحضاري، والتي تهدف إلى تشويه كلّ ما له صلة بالبنيات الثقافيّة لعالمنا. وهذا باعتراف خبراء من الغرب ذاته، أصحاب نظرية "التّبعيّة الإعلاميّة"، الذين حذّروا من خلال نظريّتهم، من آثار التّبعيّة الإعلاميّة في خلق التّغريب والغزو الثقافيّين. (الحكيم، 2015، صفحة 148) مع العلم أنّ رقعة الغزو الثقافيّ، قد تضاعف اتّساعها بعد انكماش الكرة الأرضيّة، زمكانيّا (أيّ في الزمان والمكان) من جراء تدفّق الإعلام الإلكتروني، الذي أسفر عمّا أطلق عليه "ماكلوهان" في السّابق، بالقرية الكونية". هذا المفهوم أصبح كثير التّداول في السّنوات الأخيرة، لاسيّما بعد ميلاد الانترنت. مفاده أنّ العالم أصبح شفافا، يمكن الاطّلاع عليه والتّعامل معه عن بعد، دون الحاجة إلى قطع المسافات أو اجتياز الحدود. و بقدر ما تثيره هذه المسألة من إعجاب ومتعة ومنفعة و إثارة -إذ أصبحنا أقلّ جهلا وأكثر علما بما يحدث في العالم بأقلّ جهد وتكلفة-بقدر ما تثيره بالمقابل من مخاوف

بالنسبة للأسر في كلّ المجتمعات، وتحديدًا في المجتمع الإسلامي. هناك من يعتبر أنّ القرن الذي نعيش فيه هو قرن التّحدّي بالنسبة للمسلمين. هذا القرن المليء بالتغيرات بالغة الخطورة والأهميّة، وعلى جميع المستويات (عصام صلاح، 2015، صفحة 202). هذا المجتمع الذي أضى يواجه اليوم، أكثر من غيره وبصفة متزايدة، تحديات عولمة تكنولوجيا الإعلام والاتّصال، والتي تطرح إشكالية تعامل الأسرة المسلمة مع الأساليب الإعلاميّة الحديثة، بما يُبقي على قيم دينها، وبما يُبعد عنها كهدف أسمى، كلّ المخاطر التي تهدّد أمنها واستقرارها. إنّها حقًا لمعادلة صعبة، نتساءل إن كان بمقدور الأسر تحقيقها، في زمن تواجه فيه جملة من الهموم والتّحديات، النّاتجة - كما سبقت الإشارة إلى ذلك في موضع سابق - عن درجة التّعقيد التي تطبع الحياة المعاصرة التي تحيا فيها، وعلى أكثر من صعيد. . وهكذا، تلعب وسائل الإعلام والاتّصال دورًا كبيرًا في تشكيل شخصيّة وثقافة الأفراد والمجتمعات، بعدما أصبحت عالمًا قائمًا بذاته، له أهداف ورسائل متعدّدة الأبعاد والأوجه. ويمكن تلخيص أبرز تلك الوسائل فيما يلي:

1.4. التلفاز:

أصبح التلفزيون في السنوات القليلة الماضية أداة فعالة من أدوات الاتّصال، يُنقل من خلاله الصّوت والصّورة والألوان للمشاهد، وعليه، فهو يُنظر إليه على أنّه ساهم إيجابيًا في إحداث تغيّرات اجتماعيّة واقتصاديّة وثقافيّة وسياسيّة. فإذا رجعنا إلى تاريخ الحياة الإنسانيّة، نجد أنّها - ومنذ مراحلها الأولى إلى غاية الثلاثينات و الأربعينات، وهي فترة إدخال التلفزيون - لم تتغيّر كثيرًا، ليصبح التلفزيون في القرن الحادي والعشرون، قوّة شديدة التأثير على الجماهير، لاسيّما في تكوين الرّأي العام. لما يقدّمه من أخبار ومعلومات سواء كانت واقعيّة أم خياليّة.

لقد أصبح التلفزيون أحد أقوى وسائل الاتصال في تاريخ الحضارة الإنسانيّة. تجاوز من حيث تأثيره على الجماهير، ما سبقه من وسائل إعلاميّة كالصحافة والإذاعة، ولا يزال حتى بعد ميلاد الأنترنت، يحتفظ بمكانته (عزام، 2015، صفحة 124)، لما ينفرد به من مزايا، بكقوّة الصّورة، التي احتلّت - في زمن العولمة - مساحة واسعة في التّواصل البشري أكثر من الكلمة، و باتت تشكّل أحد أهمّ مكوّنات الثّقافة المعاصرة، بل وأخطرها، لا سيّما بعدما أصبح التلفزيون، ينافس المكانة المرموقة لرب الأسرة أو للمدرس في المدرسة، بالنظر إلى حجم ما يقدّمه للنّاشئة من حيث غزارة المادّة، مقارنة بما يقدّمه الآباء والمدرّسين من جهة، وبحكم أنّ تلك المادّة "لا تقبل الحوار أو المقاطعة، باعتبارها إرسالًا من طرف واحد للطّرف الآخر المتلقّي فقط." (عزام، 2015، صفحة 122)

وفي الوقت الذي تعرّض له التلفزيون للكثير من المدح، لمّا اعتبره البعض المدرسة الثّانيّة والقناة التي تمرّ عبرها كلّ المعارف، يتساءل البعض الآخر عن طبيعة تلك المعارف، وعن الخدمة التي يقدّمها التلفزيون للثقافة، في مجتمع لم يعد فيه الأفراد يخاطبون بعضهم البعض، بل أصبح التلفزيون هو الذي يخاطب الجميع.

إنّ أخطر ما يبتّه هذا الجهاز على المشاهد عامّة والمراهق خاصّة، هي تلك البرامج والنصوص غير الأخلاقيّة التي تتنافى والقيم الأخلاقيّة والدينيّة للمجتمعات المستهلكة الغير محصّنة، لما يعرضه من أفلام تجمع بين العنف و

الإباحية. خاصّة أنّ الجمهور المتتبّع لهذا النوع من الأفلام، قد يشمل أيضا الصّغار الذين يميلون بدافع الفضول إلى مشاهدة برامج الكبار، ولو كان ذلك في كثير من الأحيان بدافع التّسلية و ملأ الفراغ - وفي ظلّ غياب وسائل التّرفيه الأخرى- إلّا أنّه، وكما يُؤكّد ذلك الكثير من الخبراء-لا وجود لترفيه بريء. لأنّ برامج التّلفزيون، أصبحت مادة ثقافيّة متعدّدة الأبعاد و التّأثيرات، تجاوزت في وظيفتها نطاق التّسلية و التّرفيه، إلى نطاق التّنشئة و تنميط السلوك. فإذا نصرنا إلى بعض الأفلام، نجد أنّها تعمل بطريقة أو بأخرى بتّ روح الجريمة لدى النّاشئة. إذ غالبا ما يصوّر المجرم في صورة بطوليّة تثير الإعجاب، ليصبح قدوة. خاصّة لدى هؤلاء الذين لديهم استعداد لتلقي جميع المواقف دون اعتراض أو ممانعة نفسيّة، لاسيما من المراهقين، باعتبارهم أكثر الفئات استجابة للمؤثّرات الخارجيّة. إنّها فعلا إحدى الانعكاسات الخطيرة للتّلفزيون.

والمؤسف، أنّ تلك الأفلام لم تعد مقتصرة على القنوات الغربيّة فحسب، بل امتدّت إلى بعض القنوات العربيّة. إذ تبين، أنّ أجهزة الإعلام الموجودة في الدول الإسلاميّة "لا تخاطب احتياجات الجماهير المسلمة، وإنما تبتّ كل ما يبعد المسلمين عن عقائدهم، وذلك من خلال ما تحمله من تناقض". (عصام صلاح، 2015، صفحة 201)

وهنا تزداد الإشكالية تعقيدا. فالشّباب المسلم يعيش حالة من الصّراع النّاتج عن التّناقض بين ما يتعلّمه داخل أسرته، وما يجدونه سائدا في مجتمعاتهم، لا سيّما على مستوى القيم. فبينما تعكف الأسرة على الحفاظ على المبادئ الإسلاميّة، تعرض مختلف أجهزة الإعلام الصّور الإباحيّة والخليعة، وتبيح عبر برامجها، تناول الخمر والمخدّرات، ما يعزّز الفجوة بين الواقع و الطّموح لدى غالبيّة الشّباب، و ما يصاحبه من بلبلة على مستوى الأفكار، وعدم الفهم الصّحيح لمجريات الأمور. وقد يساهم ذلك في إبعاد الشّباب عن مجتمعاتهم، والتمرد عليها في نهاية المطاف (سيّد أحمد وآخرون، 2005، صفحة 69)

وعليه، يبقى التّلفزيون - رغم كلّ المزايا التي يتمتّع بها- من أكثر الأدوات القادرة على "تسليع الثّقافة" وتنميط الأفراد بما تمليه ثقافة العولمة (سيّد أحمد وآخرون، 2005، صفحة 132). خاصّة في عصر الفضائيات، ومع ارتفاع حجم القنوات التلفزيونية في العالم.

2.4. الانترنت:

هو ذلك العالم الجديد الذي ظهر في الأفق، عالم يتوعّد في اعتقاد البعض بحياة أفضل. إلّا أنّ البعض الآخر، يرى في الإنترنت الوجه الآخر للامبريالية. فالثّقافة الإلكترونيّة-وكونها محتكرة من طرف أمريكا بالدّرجة الأولى- تسعى إلى حصر الثّقافات المحليّة، عبر تسويقها للنموذج الأمريكي بكل ما يحمله من مفاهيم وعادات وقيم وسلوك. وهنا تكمن الخطورة، لأنّ المسألة تخصّ الكيان والخصوصيّة والذات، أيّ الهوية بكلّ مكّوناتها. (شريف، 2011، صفحة 65)

إنّ التأثير الشّدِيد لهذه الوسيلة، تكمن في استخداماتها الواسعة في المجتمعات المعاصرة إلى حدّ الإدمان خاصّة على الشّباب والأطفال المنهريين من جهة بحجم المعلومات المتوفّرة على الشّبْكة، وبالألعاب الالكترونية التي أصبحت تطفئ على الألعاب التّقليديّة. وبغض النّظر عن الجانب الايجابي لتلك الألعاب، ما يهّمنا كمجتمع ينتمي إلى الثّقافة الإسلاميّة، تلك الجوانب السّلبيّة، السّلوكيّة منها و الدّينيّة التي يتوجّب علينا إدراكها، و الوعي بتبعاتها على النّاشئة. وباعتبار أنّ الكمبيوتر يخلو من الرّقابة المفروضة على وسائل الإعلام الأخرى، يصبح بناءً على ذلك، من أكبر التّحدّيات التي تواجهها الأسرة، و بالأخصّ الأسرة المسلمة، لا سيّما في عمليّة التنشئة الاجتماعيّة. و بحسب الكثير من المحلّلين، فإنّ زيادة حجم انتشار ألعاب الكمبيوتر، تدخل اللاعب في عالم يصعب عليه التّفرفة بينه و بين العالم الحقيقي، مقابل عدم إدراك الآباء لذلك. فالأسرة العربيّة عموما، لم تصل بعد إلى درجة كافية من الوعي بهذه المشكلات. حيث لا تزال ألعاب الكمبيوتر تعني في نظر غالبيّة الآباء، التّسلية والترفيه. كما أنّ تفوّق الأبناء في استخدام وسائل الإعلام بشقّي أشكالها لاسيّما الإنترنت، ساهم في إضعاف نسبة رقابة الآباء عليهم. و ما يزيد من خطورة الوضع، هو استخدام تلك الوسائل في أماكن تبدو آمنة- على الأقل من وجهة نظر الآباء- كالمنازل على وجه التّحديد. وهنا تظهر أهميّة الأسرة، باعتبارها المسئولة على تنشئة الفرد وبنائه وتكوينه، وتزويده بالسّلوكميات التي تمكّنه من مواجهة ما يحيط به من تغيّرات.

5. كيف للأسرة المسلمة أن تمارس وظيفتها التّربوية النبيلة ، في ظلّ هذا التّدقّق الإعلامي و في ظلّ إعلام مُعولم؟

يرى الكثير من الخبراء، أنّ الأسرة المسلمة -رغم أنّها لا تزال متمسّكة بقيمها الأصيلة- "تواجه تيارا جارفا يقوم على اجتثاث الثّوابت الأسريّة لحساب ثوابت قيمية جديدة أكثر انفصالا عن الدّات، وأكثر التصاقا بالنّمودج الأسري الغربي واختياراته الإيديولوجية والاجتماعيّة." (بنتاجة)

مع العلم أنّ النّمودج الأسري الغربي، كان يستمدّ قدسيّته من الدّين. إلّا أنّ شيوع بعض النّظريات، غيّرت من مفهوم الإنسان الغربي للأسرة، بغرض تحريرها من القيود الدّينية. هذا ما يسعى الغرب تسويقه للعالم أجمع، وللعالم الإسلامي تحديدا، عبر آليات العولمة. وبغض النّظر إن كانت العولمة تهديدا أم فرصة بالنّسبة للغرب؟ - السّؤال الذي طرحه صندوق النّقد الدّولي يوما ما (Kohler, 2003) فالأرجح أنّ عصر العولمة هو عصر المساومة بالنّسبة للعالم الإسلامي. وحتى لا تساوم الأسرة المسلمة على مبادئها وقيمها، ذلك لا يُلزمها إبعاد أبنائها على زمانهم ومتطلّباته، بل إعدادهم على نحو يمكّنهم من عيشه بكفاءة واستقامة (بكار، 2009، صفحة 57). فمن واجب الآباء- وهم يمارسون واجبهم التّربوي- أن يأخذوا بعين الاعتبار التّغيّرات العالميّة السّريعة، وبالتالي، تنشئة أبنائهم في إطار ظروف عصرهم، و ذلك باختيار أنسب الطّرق لغرس روح الفضائل، وتهذيب السّلوكم، واحترام الإنسان لذاته، وإرضاء الله عزّ وجلّ، كهدف أسعى. وبالتالي، فإنّ عظمة دور الأسرة هنا يبرز من خلال مدى قدرتها في تبني عمليّة التّوجيه الواعي والعقلاني لمنظومة القيم والمعايير، وانتقاء منها ما يساعد النّشء في تحديد توجّهاته -تحديدا سليما- نحو ذاته ونحو الآخرين. ما يتطلّب من الأسرة مضاعفة الجهود في تعزيز الشّعور لدى الأبناء، بالانتماء

لمجتمعهم وثقافتهم وحضارتهم، ولأسرتهم على وجه التحديد. لأن فقدان الأبناء الشّعور بالانتماء لأسرتهم، قد يفسح المجال أمام جماعات أخرى لتبرز كقوة منافسة منها من جهة، جماعة الرفاق باعتبارها جماعة مرجعية تؤثر بشكل كبير في عملية التنشئة الاجتماعية لاسيما في مرحلة المراهقة، ومجتمع الشارع من جهة أخرى، باعتباره أيضا "مساحة للتنشئة الاجتماعية وفضاء للمغامرة ومكان للهروب. (ألباز ولهلل، 2014، صفحة 139)

كما يتوخى على الأسر، تكثيف الجهود لتعزيز الشّعور لدى الأبناء بالانتماء لدينهم وعقيدتهم، وبناء هويتهم وفق ما يمليه ديننا الحنيف، الذي لا يقصي الآخر كما سبقت الإشارة إلى ذلك، بغض النظر عن عقيدته ولغته و لونه، بل دين يدعو إلى ضرورة الحوار والتعايش والتبادل الثقافي، شريطة إخضاع القيم الوافدة لعملية تصفية وانتقاء جادة -كما جاء في تصوّر المفكر الجزائري "مالك بن نبي" أحد أعلام الفكر الإسلامي المعاصر،- والذي شدّد في نفس السياق على ضرورة "إخضاع مؤسسات تشكيل العقل والشخصية للمراقبة الشديدة" (أيت عيسى، 2017، صفحة 60) ولو أنّ مسألة المراقبة، في اعتقادنا أضحت في المجتمعات الرأهنة من الأمور الصعبة أو الشبه مستحيلة إن أمكن القول، نظرا لما يشهده العالم من تغيّرات هائلة، مقابل عدم امتلاك مؤسسات التربية وعلى رأسها الأسرة، للإمكانات الكافية والمجدية للسيطرة على مجريات الأمور عامّة، وعلى جيل الشّباب على وجه التحديد. هذا الجيل الذي أجمعت بشأنه معظم التحاليل، أنّه يعيش- وفي عالم تتبادل فيه المعلومات بشكل متسارع- حالة من التناقض والغموض، وعدم القدرة على استشراف المستقبل (حمداش، 2009، صفحة 214). وفي ظلّ هذه الظروف الصعبة، لم يبق للأسرة من مرجعية تستمدّ منها مقومات التنشئة الصحيحة، ومن سلاح تحارب به كلّ القوى التي تهدّد أمنها واستقرار كيانها، إلا كتاب الله وسنة رسوله عليه الصّلاة والسّلام، منبع السّعادة والرضا والأمن والاستقرار.

6. خاتمة

وهكذا، اتّضح من ثنايا هذا البحث، كيف أصبحت الأسرة في العالم الإسلامي، وأكثر من أيّ وقت مضى، قابلة بسهولة للاختراق الثقافي. وهذا بعد سيطرة أجهزة الإعلام والاتّصال المعاصرة، وما صاحبها من قيم ثقافية تفتقر للضوابط الدّينية والأخلاقية والتربوية. ما يطرح إشكالية التّربية بالنّسبة لغالبية الأسر. وهذا بعدما تبين أنها ليست مجرد أدوات تقنية وتواصلية محايدة وبريئة، بل قد تتحوّل إلى عامل مؤثر على منظومة القيم داخل الأسرة، لاسيما في العالم الإسلامي. بالنظر إلى خصوصية مرجعياته الدينية والأخلاقية، الأمر الذي سيزيد من تعقيد الدور التربوي للأسرة. إذ لم يعد دور الأسرة اليوم، يُختزل في تأمين المأكل والملبس والسكن، بل في محاربة كلّ ما يهدّد كيانها وأمنها بمفهومه الواسع. ومع الاعتراف أنّ المهمة ليست سهلة، ذلك يقتضي بالضرورة، الاعتماد على مقاربة تعاونية مبنية على شراكة فاعلة مع مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى، باعتبار أن الأسرة لا تملك ما يكفي من الإمكانيات للقيام بمفردها بهذا الدور الريادي.

7. قائمة المراجع:

- أبو حمادة عزام. (2015). الإعلام الثقافي جدليات وتحديات. عمان، الأردن: دار أسامة للنشر و التوزيع.
- المعجم الوسيط. (2004). مجمع اللغة العربية (الإصدار 4). القاهرة.
- جعفر ألباز، و محمد لبال. (2014). سوسيولوجيا مجتمع الشّارع بين إثبات الذات والبحث عن الهوية. مجلة علوم التّربية (59).
- حسين أيت عيسى. (2017). الفكر التربوي عند مالك بن نبي (الإصدار 1). جسر للنشر والتوزيع.
- رشيد حمداش. (2009). مسألة التّباطؤ الاجتماعي في الجزائر المعاصرة، امتدادية أم قطيعة؟ الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر و التوزيع.
- رضا شريف. (2011). الهوية العربيّة الإسلاميّة وإشكاليّة العولمة. الجزائر: كنوز الحكمة للنشر و التوزيع.
- سعيد أبو المظفر، و بن محمد السناري. (2015). مقدمة ابن خلدون. المملكة العربية السعودية: دار الشواف للنشر والتوزيع.
- سورة الحجرات . (بلا تاريخ). الآية 13.
- عبد الكريم بكار. (2009). مسار الأسرة: مبادئ لتوجيه الأسر (الإصدار 2). الرياض: مؤسّسة الإسلام اليوم للنشر.
- عبد الكريم غريب. (2010). التواصل والتّشاقف (الإصدار 1). الدار البيضاء: منشورات عالم التّربية. مطبعة التّجّاح الجديدة.
- عمر بن بوجليدة. (2017). الحداثة وإبعاد الآخر دراسة أركيولوجية في دراسة العقلانيّة والجنون (الإصدار 2). تونس: منشورات سوتيميديا للنشر والتوزيع.
- فواز الحكيم. (2015). سوسيولوجيا الإعلام الجماهيري. الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.
- محمد القاسمي مهرة سالم . (2010). دور التّنشئة الاجتماعيّة في تشكيل السلوك السّوي للأبناء (الإصدار 1). القاهرة: دار الفكر العربي.
- محمد بنتاجة. (بلا تاريخ). الأسرة المسلمة وتحديات القيم الوضعيّة الحداثيّة نموذج التّظرية التّسويّة ونظرية مالتوس. تاريخ الاسترداد 9 1, 2026, من stgcenter.org
- مروي عصام صلاح. (2015). الإعلام الإسلامي (الإصدار 1). الأردن: دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع.
- مصطفى الشليح، و آمنة ودة أدهري . (2006). التواصل التّقافي، تأملات في المفهوم والتّداول (الإصدار 1). منشورات كليّة العلوم الإنسانيّة بالمحمدية. مطبعة فضالة المحمدية.
- منصور سيّد أحمد، زكريّا عبد المجيد، و أحمد الشربيني. (2005). الشّباب بين صراع الأجيال المعاصر والهدى الإسلامي. القاهرة، مصر: دار الفكر العربي للنشر.
- وهيبة عيساوة. (2013-2014). اختلال النّظام الأسري: دراسة حول ضغوط الأسرة في الوسط الحضري. أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في علم الاجتماع. جامعة الجزائر.
- Castells, M. (1996). The Rise of the Network society. In *The information age, economy and culture*. Black well publishers.
- Durkheim, E. (1921). La famille conjugale. Emile Durkheim. (1921). la famille conjugale. *Revue philosophique J /F*.
- Kohler, H. (2003). The challenge of globalization and the role of IMF. Retrieved 01 09, 2026, from <https://www.imf.org>
- Parsons, T., & Bales, R. (1955). *Family, Socialization and Interaction Process*. Illinois, Glencoe: The Free Press.